مصر وبغداد وقرطبه وأوربا

«تابع ما قبله»

- باريس -

هى المدينة العظمى التى نغمات الآداب لم تصدح إلاَّ من سيوف أبطالها، وأنوار الحقائق لم تنبثق إلاَّ من ظلمات حبوسها ومنادى التهذيب لم ينادِ إلاَّ بألسنة نيرانها والمبادئ الراهنة لم تنطلق إلاَّ من قيودها وأغلالها ولله در من قال فيها:

هنا تصدح النعمى هنا يرقص الهنا — هنا تبسم الدنيا هنا الحظ حاضرُ
هنا النفس تخلو فى هواجس سرها — فتوحى بما تصبو إليها الخواطرُ
هنا تشرح الأنظار للقلب ما ترى — فيبسم عما قد حكته النواظرُ

وهى عروس المدن وعاصمة مملكة فرنسا واقعة على ضفتى نهر السين من طرفها الشرقى، فيجرى إلى الشمال الغربى ويخرج من أسوارها عند طرفها الجنوبى الغربى وعليه ٢٦جسراً «كوبريًا» مرتفعة عن البحر ١٩٠قدمًا ومساحتها داخل حصونها ٢٨٠٥.٥ميلاً مربعًا ومع ضواحيها وولاية السين المخصوصة بها ١٨٤ميلاً مربعًا وعدد سكانها يزيد عن المليونين من النفوس.

وتنقسم إلى ٨٠دائرة «حى أو قسم» ويحيطها دائرة حصون كاملة يتخللها ٥٧بابًا عدا مداخل سكك الحديدية ومعظم ارتفاع سورها ٣٤٠قدمًا يحيط به فندق واحد محيطه ٢٢ميلاً وعرضه ٤٩قدمًا، ويتبع هذه التحصينات الداخلية ١٦قلعة خارجية.

وفيها ٢٦١٩سوقًا ومجلسًا وساحة إلى غير ذلك من الأماكن العمومية مع ٣٠٠٠مسلكًا ونحو ٢٠٠ألف بناية بين قصر وسراية ووكالة ودائرةٍ وبيتٍ.

ومن أشهر أسواقها البولفار ومن أجمل منترهاتها الشانزيليزيه وطوله ميل وربع ميل وهو ذو جنات تقسم إلى أشكالٍ شتى ثم حديقة التويلرى والبلوار وهنالك القهاوى العظيمة، وكلما يطرب الأذن ويقر العين ويشرح الصدر ويروح النفس فضلاً عما بها من السرايات والقصور والمراسح والتماثيل والآثارات والمنتزهات إلى غير ذلك، مما تجذب ببروقه الأبصار وتندهش ببديع جماله الأفكار.

أما لطف نسائها ورقة طباع رجالها فحدث عنهما ولا حرج، ولا تعجب إذا سمعت لسان حالهم ينادى لا مجد ولا فخر إلاَّ بالإقدام ولا نموّ إلا بالحركة ولا اعتبار إلاَّ بالتسارع ولا غنى وثروة إلاَّ بالأشغال والأعمال ولا قوة وسطوة إلاَّ بالانضمام والاتحاد ولا شرف واقتدار إلاَّ فى محبة الجنس والوطن، فإن التعصب لا يورث إلاَّ التأخر والقهقرى والانقسام لا يعود إلاَّ بالضعف والانحطاط والحسد لا يجنى إلاَّ الفقر والاحتقار.

وبالجملة فهم أهل رقة ومؤانسة وصحبة ومجالسة تهزهم نغمة الطرب، وعلى محور أفق كمالهم يدور فلك التمدن والآداب كيف لا وقد أوجدوا للحرية منارًا ليضئ نورًا ويوقد نارًا ورفعوا فى مسارح الحق قصورًا للحكمة تخفق فوق أعاليها ألوية المساواة والإخاء بل هم الذين أوصلوا المرأة إلى مقام تحسدها عليه الزهراء حتى أصبحت كل فتاة غيدا تكتفى من الحمد والثناء إذا قيل بها باريزية حسناء لأن الباريزيات، فضلاً على أن الظرف من طبائعهن والخفة فى أجسامهن والشهد يتدفق من مباسمهن، فهنَ من أحسن النساء جسمًا وقدًا وأجملهن طرفًا وخدًا، وألينهن رشاقةً وعطفًا وأكثرهنَ رقةً ولطفا وإلى فتاتهن الحسناء يشير القايل:

إن يدعى قمرٌ بوجهكِ نسبةً ... يخشى بأن يسود وجه المدعى

والشمس لو علمت بأنكِ دونها ... هبطت عليك من المحل الأرفعى

كيف لا وفى لحظها ما يغنى عن لفظها وفى ابتسامها ما يكفى عن كلامها ولا تشبيها إلاَّ الحرية المطلقة التى تكون أحيانًا فوق الاعتدال وبها يتمثل المنتقال بقول القائل:

عروس ليس تحار من خداع　　　　وقط لا تعدم الحسناء زاما

وأما عموم أهالى باريس فمن طبعهم التطلع والتولع بسائر الأشياء الجديدة وحب التغيير والتبديل، لا سيما فى أمر الملبس الذى لا قرار له عندهم بل لم يقف لهم على عادة فى التزيى لسرعة تنوعهم به وخصوصًا النساء اللواتى قيل بهن بأنهنَّ كالصغار تدليعًا والكبار تعظيمًا بعكس نساء الشرق اللواتى لا يرتفعن عن أمتعة البيوت عددًا، وعند البعض كالخدم والعبيد اعتبارًا والبعض يعتبرهن ويحترمهنَّ أحيانًا بحيث يجعلهنَّ كباقات الزهور التى إذا ذبلت طرحت خارجًا.

وأما لون نساء باريس فهو البياض المشرب بالحمرة، وقد يندر وجود اللون الأسمر فى أهلها المتأصلات بها ومن عوائد أهلها أن لا يزوجون الزنجية للأبيض أو بالعكس محافظة على عدم الاختلاط فى اللون، وهم يعتبرون السواد صفة من صفات القبح خلافًا لاعتبار الشاعر الشرقى القائل:

فيه معنى من البدور ولكـــــن　　　　نفضت صبغها عليه الليالى

لم يشنك السواد بل زدت حسنًا　　　　إنما يلبس الســواد الموالى

حتى إنهم لا يستخدمون جارية سوداء فى المطبخ لظنهم بأن السود من طبعهم عدم النظافة.

وهم يشابهون العرب العرباء بالحرية والافتخار والعفاف وعدم دناءة النفس، وإذا عاهدوا عاهدوا عليه ووفوا بعهودهم ورجالهم فى العسكرية يوافقون أيضًا طباع

العرب فى صدر الجاهلية إن كان فى شدة الشجاعة الدالة على القوة الطبيعية أو فى شدة العشق الذى يظهر ضعف العقل.

ولهم فى الغزل والحماس أشعار قريبة جداً من نظم بعض شعراء العرب كقول بعضهم وهو يخاطب محبوبته بقوله:

ولقد ذكرتكِ والوغى بحر طغى　　والنقع ليلٌ والأسنة أنجمُ

فحسبته عرساً ونحن بروضه　　وأنا وأنتِ بظله نتنعـــمُ

كما قال عنترة العبسى لابنة عمه عبلى:

ولقد ذكرتكِ والرماح نواهلٌ　　منى وبيض الهند تقطر من دمى

فوددت تقبيل السيوف لأنها　　لمعت كبارق ثغرك المتبســمِ

أو كقول أحد ظرفاء مصر:

ولقد ذكرتك والجواد معاندى　　على الحديد وقد أتى الوابورُ

أما الملابس عند النسـاء فـهى تتلون كـتلون الحرباء أو كـأبى براقش بل هى كقراطيس المالية فى البورصة لا تثبت على قرار واحد، ومعظمهن لا يعتنى بكثير من الحلى والجواهر بل يكتفى بأقراط الأذن وأسوار الزند وخاتم الأصبع والخطوبة منهن تضع فى بنصرها خاتماً ذهبياً دلالة على أنها ذات خطيب.

وقد قرأت نقلاً عن بعض جرائدهن بأن إحدى مثريات باريس قد اخترعت فى خـلال سنة ١٨٧٤ ثوبًا جـديداً من الأطلس الأزرق السنجـابى، وهـو اللون المعـروف بالأزرق الصباحى مزداناً بقلم رفيع من الحرير الأخضر وقلم آخر مخملى (قطيفة) مدبجًا بشبكة من أسلاك الفضة والذهب، وعلى هذه الشبكة عصافير صغيرة من الذهب محكمة الوضع والتركيب، فتغرد كالبلابل عند إبداء أقل حركة من جسم السيدة

المشار إليها وتسكن عند سكونها، ولا تندهشى أيتها القارئة إذا تصورت جمال هذا الثوب وقدرت ما استغرقت نفقته من قناطير الدنانير بل قولى مع القائل لا عيشة إلاَّ مع الغنى ولا حياة إلاَّ مع المال على حد قول الشاعر:

إن الدراهم فى المواطن كلها ... تكسو الرجال مهابة وجمالا

فهى اللسان لمن أراد فصاحةً ... وهى السلاح لمن أراد قتالا

وكنت أود أن استطرد إلى ما كان من الأخلاق والعوائد المألوفة فى خطب الباريزين وأعراسهم وولايمهم ومراقصهم ومآتمهم وأحزانهم إلى غير ذلك من أنواع التفائل والتشائم فى هيأتهم ومجتمعاتهم، لكن تركت ذلك إلى باب العوائد والأخلاق لكى أقابله بما بينهم وبين الأمة الإنكليزية من العوائد القديمة والحديثة وكل آتٍ قريب.

وقبل أن أنتقل من هذه العاصمة إلى ما سواها من عواصم أوربا وأميركا استسمح القراء بذكر بعض مواقع باريس وساحاتها وقصورها وآثارها ومنتزهاتها ومراسحها وقهاويها ومكاتبها وجرائدها ومدارسها وأكاديمياتها إلى غير ذلك من علومها ومعارفها وآدابها وتمدنها مما لا نظير لها فأقول.

«البقية تأتى»

العصر الحميدى

«بقلم حضرة الأديبة الآنسة إميليا فارس طراد بمدرسة الشويفات»

بسم المهيمن بدء القول يزدانُ ... وحمدهُ خير ما يتلوهُ إنسانُ

كم خصَّنا بكرامات علت وسمت ... فضاق عن وصفها يا قوم شكرانُ

فى كل آنٍ لنا من فضلهِ كرمًا ... سوابغ كم لها فى ذاتها شانُ